هلدا شعبان صايغ ، التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل ، دراسات فلسطينية رقم ٨٥ ، (بيروت ، مركز الابحاث التابع لـ م.ت.ف. ١٩٧١)

اسرائيل ليست بلدا راسماليا بالمعنى الكلاسيكي ، كما انها ليست مستعمرة بالتاكيد . واسرائيل ذات طبيعة خاصة جدا ، وخصائص المجتمع الاسرائيلي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية شبه فريدة . ان اية محاولة لفهم المجتمع الاسرائيلي عن طريق التعميمات الكلاسيكية والتشبيهات الراسمالية المالوفة تظل غير قادرة على تقديم اية نتائج صحيحة ومنطقية على واقع دولة اسرائيل وحقيقتها . لذلك ان افضل وسيلة لفهم طبيعة المجتمع الاسرائيلي هي تقديم صور واقعية وامينة عنه في ماضيه وحاضره .

ان كتاب هلدا شعبان صايغ ، التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل ، يساعد كثيرا في تكوين ابعاد وملامح الصور الواقعية والامينة عن ماضي المجتمع الاسرائيلي وحاضره . فهو — اي الكتاب — يوضح ابعاد الشرخ الحاصل في المجتمع الاسرائيلي منذ نشأة اسرائيل وحتى الان .

تعالج الكاتبة مشكلة التفرقة العنصرية بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين التي قامت في اسرائيل منذ تأسيسها . ولكثرة ما ورد في الكتاب من وثائق — يعود تاريخ معظمها الى الخمسينات والستينات — يمكن اعتباره احد المراجع الهامة التي تدحض ادعاءات المسؤولين الاسرائيليين والعناصر الصهيونية في العالم ، من ان مشكلة التفرقة العنصرية قد خفت حدتها ، او زالت ، بفضل جهود الدولة في العمل على دمج المهاجرين وصهرهم في « المجتمع الاسرائيلي الواحد » (!) .

التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل ، مشكلة حددت الكاتبة ابعادها عبر عدة جوانب : الاول ، تاريخي يعود عهده الى القرون الوسطى ،والثاني، يتعلق بالعوامل والاسباب التي ادت الى التمييز في اسرائيل في الوقت الحاضر . اما الجانب الثالث ، فيعدد مظاهر التمييز ، والرابع مظاهر الاحتجاج عند اليهود الشرقيين ضد هذا التمييز . اما الجانب الخامس ، فقد بحثت الكاتبة من خلاله مستقبل المشكلة في اسرائيل .

● ان ما يحدث الان في المجتمع الاسرائيلي من مظاهر التفرقة والتمييز بين اليهودي الاشكنازي (الاوروبي والاميركي) ، وبين اليهودي السفاردي (اليهودي الشرقي) ، يخالف تماما ما كان يحدث قديما من مظاهر التفرقة بين الاشكنازيين والسفارديين . فقديما ، « ظل الاشكنازيون منطوين على ذاتهم يتكلمون الفرنسية والالمانية حين نظروا الى اللاتينية في اوروبا على انها لغة الكنيسة وفلسفتها فلم يعنوا بها » . وهكذا بقوا معزولين عن الادب والثقافة. بينما كان السفارديون « اكثر واوسع ثقافة » بحكم اختلاطهم مع الشعوب التي عاشوا معها ، واطلاعهم على ثقافاتها وآدابها ، مما جعل ثقافة السفارديين « مزيجا من التوراة والتلمود ومن ارسطو وابن سينا ومن الميتافيزيا والعلم » . وتمتع السفارديون — لاجيال عديدة — بتميز على الاشكنازيين بالاضافة الى التميز الثقافي والذهني ، وهو تمكنهم من ان يثبتوا انفسهم في البلدان التي هاجروا اليها ، اذ كانوا « اغنى واكثر نفوذا من الاشكنازيين » . وقد بلغ تعالي السفارديين وكبرياؤهم ابعد الحدود ، واتخذ شتى المظاهر ، وكان منها مثلا « عدم تزوج اليهودي السفاردي او اليهودية السفاردية من الاشكنازيين ، واذا حدث هذا ، فان الفتى ، او الفتاة ، ينبذه مجتمعه » .

● الا انه — منذ بداية الهجرة في اوائل هذا القرن — انقلبت الآية ، واصبح الموقع المتفوق في صالح الاشكنازيين حيث نشأت تفرقة من نوع اخر اخذت بعدا حضاريا عميقا يعود تكونها الى عدة عوامل منها : « الرواسب الذهنية للتفرقة والخلافات القديمة » . فقد كان ترفع وتعالي السفارديين لعدة قرون على الاشكنازيين سببا في تكوين هذه الرواسب وازدياد حدتها . « لقد تركت المعاملة التي مارسها السفارديون اثرها العميق في نفوس الاشكنازيين الذين عاشوا عهودهم جميعها يحاولون — افرادا وجماعات — ان يتقدموا ويقفوا في موقف يوازي كبرياء السفارديين وتعاليهم ، وخاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر في انجلترا واميركا حيث كان السفارديون يتمتعون بنفوذ مادي واجتماعي لا يستهان به » .

وهناك عامل اخر ، وهو « تأصل عادة الاختلافات بين الطوائف والجاليات اليهودية » . فقد جاء